العرب
الثلاثاء 2021/01/05
السنة 43 العدد 11931

كارثة لا تنسى

الفن الجريح يستعرض ذاته في «فيلا عودة» البيروتية

ذاكرة الفن التشكيلي تخلّد مأساة المرفأ بتقنية «الكينتسوغي»

ما زالت مأساة بيروت تُلهم الفنانين التشكيليين من لبنان وخارجه لتجسيد معاناة اللبنانيين ومحاولة ترميم ذاكرتهم بإنتاج أعمال فنية حديثة تعتمد على تقنيات عريقة يستدعيها الفنانون من حضارات أخرى.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

افتتحت "فيلا عودة" الكائنة في منطقة الأشرفية من بيروت والمُطلة على شارع السراسقة العريق، معرضا فنيا جماعيا تحت عنوان "الفن الجريح" ويستمر في شهر يناير الحالي. ويضم المعرض أعمالا فنية غالبيتها الساحقة تعود إلى فنانين لبنانيين وبضعة أعمال أوروبية، إحداها لوحة للرسام الإيطالي غيدو ريني من القرن السابع عشر، وهي واحدة من مقتنيات متحف سرسق في بيروت.

وجاء المعرض كنوع من استذكار وتخليد لشهداء وجرحى وضحايا تفجير بيروت، الذي خلق موجة من الجنون تخطت كل ما اختبره لبنان إلى الآن، إن كان من ناحية دلالاته المعنوية أو لناحية قوته التدميرية.

ويعّرف القيمون على هذا المشروع المعرض بأنه "عبارة عن تعبير فني جديد مستوحى من تقنية الترميم بالذهب أو 'كينتسوغي' وهو نوع من علاج الصدمات أعقاب الكارثة، التي خلفها انفجار مرفأ بيروت على الأصعدة كافة وخصوصا لناحية الفن والثقافة". فمن المعروف أن العدد الكبير من صالات بيروت الفنية والمتاحف قد تضررت وأن أعمالا فنية عديدة تدمرت بشكل كلي أو جزئي.

وتقنية الـ"كينتسوغي" التي انطلق منها القيمون على هذا المعرض، هي وباختصار شديد تقنية يابانية عريقة تعود إلى القرن الخامس عشر لإصلاح الخزف عن طريق لصق مناطق الكسر بمادة ممزوجة بمسحوق الذهب أو البلاتين.

ولهذا الترميم قيمة فلسفية، تشير إلى أن الكسر وإصلاحه هما جزآن من تاريخ الجسم أو الكيان، ولا يجب إخفاؤهما أو التبخيس بأهمية تأثيرهما على مستقبل صاحب الجرح.

ويضيف أحد القيمين على المعرض "جان لوي مينغي" قائلا "هذه الأعمال وضعناها متلاصقة لتؤلف لوحة مركبة تؤكد أنه مهما شهد الفن من تجريح وتدمير وأفسده الانفجار يبقى حاضرا بروحه. وفي هذا السياق يجب ألا ننسى بأن الفن هو عالم بحدّ ذاته يدور في نظام حركة دائمة يتحول باتجاهات مختلفة، ويعايشنا كظلنا ولا يمكنه أن يموت. وإذا ما غاب حضوره هذا عنا علينا أن ننفخ فيه الحياة".

أعمال ناجية

تم توزيع الأعمال الفنية المختلفة الأحجام والتقنيات الفنية في الطابقين الأول والثاني من "فيلا عودة". وانقسمت تلك الأعمال من نحت ورسم إلى ثلاثة أقسام تستكمل بعضها البعض من ناحية السردية البصرية، التي اشتغل عليها القيمون على المعرض، لتكون أشبه برحلة فانتازية متعددة الاتجاهات ولكن تصب تحت عنوان واحد وهو "الفن الجريح". أما هذه الأقسام الثلاثة فتتمثل بالأولى التي ضمت أعمالا فنية ناجية من التلف وقد أصابتها تكسرات أو تمزقات لم تخضع للترميم إلا "سحريا" عبر أجواء موسيقية وضوئية وقصائد متلوّة. والمجموعة الثانية من الأعمال تضم أعمالا مستوحاة من تفجير بيروت. أما المجموعة الثالثة وقد تكونت من لوحات وأعمال نحتية تلقت تحويرا غرافيكيا فنيا يعيد إحياءها بشكل افتراضي.

إنه معرض ضخم ومجموع الأعمال المعروضة تكونت من لوحات ومنحوتات ابتكرها 35 فنانا من مختلف المشارب الفنية والأعمار ومستويات الخبرة الفنية. ونذكر من أسماء هؤلاء الفنانين: شفيق عبود وفريد عواد وصليبا الدويهي وبول غيراغوسيان وحسن جوني وسيسي سرسق وكاتيا طرابلسي وهلا عزالدين ونبيل نحاس وأروى سيف الدين وهادي سي وميساك طرزيان وأنطوني خليل وعماد فخري وفؤاد جوهر وندى صحناوي وحسن جوني ورؤوف رفاعي وآلان فاسويان.

ربما أهمية هذا المعرض لا تتعلق فقط بالكم الهائل من الأعمال الفنية المعروضة، التي تدور حول الجرح البيروتي بطريقة أو بأخرى، بل أيضا لكون هذا المعرض أشبه بسرد رواية فانتازية تاريخية بصرية ليست بعيدة عن أجواء الرعب النفسي، لاسيما تلك الأجواء التي نعثر عليها كثيرا في روايات إدغار آلان بو القصيرة، لاسيما واحدة منها وهي التي تحمل عنوان "الصورة البيضاوية"، حيث يدخل شخص جريح إلى فندق ليكتشف سرّ لوحة بيضاوية الشكل انبثقت فجأة إلى جانب لوحات فنية أخرى أثارت اهتمام الجريح الغامض. رواية قصيرة جدا تتحدث بشكل خاص عن جدلية الموت والحياة عبر الممارسة الفنية.

فانتازيا موسيقية

المعرض بكليته مصمم على يد السينوغرافي جان لوي مينغي، ليكون تجهيزا بصريا وسمعيا. والشق السمعي الساحر الذي أضاف بعدا

تقنية «الكينتسوغي» هي تقنية يابانية لإصلاح الخزف عن طريق لصق مناطق الكسر بمادة ممزوجة بمسحوق الذهب أو البلاتي

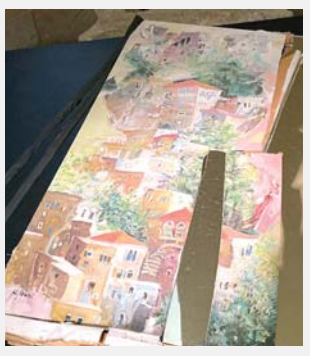

فانتازيا على المعرض تكوّن من سماع قصائد وأشعار لجبران خليل جبران وناديا تويني وشارل قرم، وأنغام موسيقية مناسبة لأجواء المعرض لغابريال يارد وعبدالرحمن الباشا وأسامة الرحباني وزاد ملتقى وغيرهم.

هذا التصميم السينوغرافي، يجعل زائر المعرض وكأنه يدخل في نفق غرائبي لا تعود فيه الأعمال الفنية إلى الحياة كما أراد القيمون على المعرض، بل تخرج منها أشباحها لتهز الكيان ولترفع وتيرة الأسى ولاجدوى الحياة في عالم غارق بنكران إنسانيته.

أعمال في الحقيقة لم تتم "مداواتها" بالموسيقى والأضواء والأشعار كما توقع القيمون على المعرض، بل تم تصعيد نبرتها بتجاورها مع بعضها البعض، تحت "منظومة ضوئية" لا تهدف إلى تحقيق رؤية الأعمال بشكل واضح، بل تهدف إلى التأكيد بأن لا النسيان مقبول ولا الذكرى هي تلك التي تؤسس إلى مستقبل مغاير، على الأقل، ليس في المدى القريب أو المتوسط.

الداخل إلى هذا المعرض، هو مُحمّل بجراحه الخاصة التي سيرى بعض أو أحد مظاهرها متجليا في لوحة أو عمل نحتي، يؤكد له أن ما يعرفه أو ما عاشه هو حقيقة وحقيقة ضاربة جذورها في الوجدان اللبناني وفي الذاكرة الجماعية البيروتية.

الأحمر للتعبير عن المشاهد الدموية

لبنان يودع ثالث عمالقة الفن الرحباني

بيروت – فقد لبنان أحد أهم الموسيقيين في تاريخه الحديث برحيل الموسيقار إلياس الرحباني، الاثنين، عن عمر ناهز الـ83 عاما بعد إصابته بكوفيد – 19 منذ حوالي أسبوع.

والفنان الراحل (مولود عام 1938) هو الشقيق الأصغر للأخوين الراحلين عاصي ومنصور الرحباني اللذين شكلا تيارا فنيا مستقلا لقب بالمدرسة الرحبانية والتي ساهمت في تطوير الأغنية اللبنانية والعربية وتركت بصمتها في عالم الفنّ.

وعندما كان إلياس في سن الخامسة توفي حنا الرحباني والد العائلة الرحبانية فعاش الابن الأصغر في كنف الأخوين عاصي ومنصور اللذين أشرفا على تربيته ونشأته الموسيقية.

ولم يحلّق إلياس ضمن سرب الأخوين اللذين أسسا الأغنية اللبنانية الحديثة والمسرح الغنائي، إذ لم يرد أن ينال شهرة سهلة بل سعى إلى أن يرسم لنفسه شخصية فنية مستقلة، تختلف عن أخويه وتكون لها بصمة فنية مميزة تمزج بين اللحن الشرقي والغربي.

وقدم على مدى أكثر من ستين عاما ألحانا لأغان رومانسية وشعبية وساخرة وصولا إلى عالم الإعلانات الشهيرة، وإلى جانب أغانيه الشهيرة لفناني العصر الذهبي مثل فيروز وصباح ووديع الصافي، بحث إلياس عن التجديد فلحن لنجوم شباب كالفنانة هيفاء وهبي كما اشتهر بتأليف الأغاني والموسيقى الأجنبية.

ويعتبر إلياس الرحباني من أشهر الموسيقيين في العالم العربي، كما عرف بأنه ملحن وموزع موسيقي وكاتب أغاني وقائد أوركسترا، إذ لحن أكثر من 2500 أغنية ومعزوفة، 2000 منها عربية. وألف موسيقى تصويرية لـ25 فيلما منها أفلام مصرية، وأيضا لمسلسلات وأفلام سينمائية، ومعزوفات كلاسيكية على البيانو، ومن أشهرها موسيقى فيلم "دمي ودموعي وابتسامتي" وفيلم "حبيبتي" وفيلم "أجمل أيام حياتي" ومسلسل "عازف الليل".

وكانت أول ألحان إلياس الرحباني "موزاييك الشرق" عام 1972، و"يللي مش عارف اسمك" لسمير حنا، و"أوضة منسية" لفيروز، و"شفتو بالقناطر" لصباح، و"قتلوني عيونا السود" و"يا قمر الدار" لوديع الصافي، و"لا تهزي كبوش التوتي" لملحم بركات، و"عم بحلمك يا حلم يا لبنان" لماجدة الرومي.

ومن أجمل الأغاني التي ألفها " حنا السكران"، التي غنتها فيروز وبعدها ملحم بركات ومجموعة "فور كاتس"، وأغنيتا "طير الورور" و"كان عنا طاحون" لفيروز، أغنية الديو "يا بومرعي" لوديع الصافي وجورجيت صايغ، و"10 – 11 – 12" لملحم بركات.

وفي عام 2001 قدّم نشيد الفرانكفونية كتحية لـ52 بلدا مشاركا في القمة الفرانكفونية التي عقدت في لبنان، كما أسس الموجة العالمية للموسيقى والأغاني الفرنسية والإنجليزية بأصوات فنانين لبنانيين، بإنتاجه 13 حلقة من برنامجه " صياد الحلوين" في إذاعة "بي.بي.سي" القسم العربي.

وشارك أيضا في برامج اكتشاف المواهب الموسيقية حيث كان من أعضاء شرف الموسمين العاشر والحادي عشر من برنامج ستار أكاديمي (للتعليق على الأداء)؛ وقد كان سابقا من أعضاء لجنة تحكيم برنامج سوبر ستار.

وحصل الرحباني خلال مسيرته الفنية على جوائز كثيرة من بينها جائزة مسابقة شبابية في الموسيقى الكلاسيكية في العام 1964، وجائزة عن مقطوعة "الحرب قد انتهت" في مهرجان أثينا عام 1970، وشهادة السينما في المهرجان الدولي للفيلم الإعلاني بالبندقية عام 1977، والجائزة الثانية في مهرجان لندن الدولي للإعلان عام 1995، والجائزة الأولى في روستوك بألمانيا عن أغنية "موري"، وجوائز أخرى في البرازيل واليونان وبلغاريا. وعام 2000 كرّمته جامعتا بارينغتون في واشنطن وأستورياس في إسبانيا بنيل الدكتوراه الفخرية.

الرحباني قدّم على مدى أكثر من ستين عاما ألحانا لأغان رومانسية وشعبية وساخرة ولإعلانات شهيرة

ونعى عدد كبير من الفنانين والنقاد إلياس الرحباني معبرين عن أسفهم لرحيل ثالث عمالقة الفن الرحباني وخسارتهم لذاكرة فنية عاصرت أزمات البلاد لتحوّلها إلى أعمال موسيقية وفنية تبعث المحبة في نفوس أجيال متعاقبة.

وكتب الناقد الفني جمال فياض عبر حسابه على تويتر "رحل إلياس الرحباني... رحلت الضحكة العبقرية والموسيقى الخالدة على مرّ الزمن... رحل الصديق الحبيب الذي ما تنفس إلا حبا وجمالا وطيبة وأنغاما... رحل جزء جميل من مجد لبنان".

كما كتب الإعلامي اللبناني المخضرم ريكاردو كرم على تويتر "إلياس الرحباني يقول وداعا... وبيبقى حنا السكران ملهي وعلى الحيطان عم بيصور بنت الجيران"، في إشارة إلى أحد أشهر أعماله لفيروز وهي أغنية "حنا السكران".

وكتب عنه الصحافي اللبناني جوزيف أبوجابر على فيسبوك "دمي دموعي وابتسامتي وأجمل أيام حياتي.. مع هالفيلمين خليتني فعلا إتأكد إنو موسيقى الفيلم هي بأهمية القصة والأبطال والإخراج".

وتابع "مئات الأغنيات اللبنانية والفرنسية والإنجليزية، وفنانين كتار صاروا نجومْ بأعمالك. ويوم اللي تسكروا الإذاعات بسبب قانون الإعلام بالتسعينات وتشردنا، كنت أكتر فنان تضامن معنا، وقدمتلنا نشيد حرية الإعلام. بتبقى بالقلب وبالبال والأصالة رح تضل تحكي عنك.. موسيقار لبنان إلياس الرحباني".

خسارة للموسيقى اللبنانية والعربية